ذلك الشدي الوحشيّ والمتحفّظ ذي اللّغة التي ترضعه أبناءها في ظلّ سيفها الأبويّ الشاهر اله على موتهم موثقين ومنفكين فيحيون، حيث تجتمع المتعة والألم، الأسر والحرية، الحسّية والتجريد، الحياة والموت، البربرية والحضارة.. معاً في انتظام لا ينفي طرف فيه الآخر على التعارض بينها بقدر ما يتكامل معه في وحدة، نصّ يتكوّن تحديداً من اجتماعها.

يتراءى الحليب المجتنى حليب خيال وبلاد ونساء... حليب أمّ قابل انطلاقاً من سيلانيته (مائيّته) لتشكّلات لانهاية لها، ليست القصائد - القصيدة المثبتة إثر الاستهلال إلا بعضاً منها... أبراج ماء مشيّدة قصوراً وصروحاً مضاءة ومنوّرة بالولع محروسة ومصانة بالقوانين والقيم...

هكذا يمكن أن يصبح القولُ لا تعبيراً عن حبّ أو جسد أو رؤى فحسب وإنّما يضحي مدار ذاته أيضاً... يصطخب في سيل جارف حارق، ويتهادى في انسياب رقيق مضيء في وهاد وتضاريس يشقّها لنفسه بنفسه ويشق تعقّبها ناهيك بتوقّعها. ذلك أنّ مسيرة هذا السائل هنا ليست إلاّ مجازاً، وحقيقتها في التجاوز الذي تمضي فيه مجازات بين ضفاف وبلدان وحضارات وأجيال تعبرها جوائز من جمال وغرابة. فهو اكسير حب ولغة وسحر شغف وتركيب في تكوين عوالم إبداع ودهشة لا تتّفق مع منطق مألوف بقدر ما تدفع إلى منطق مختلف وجديد ميزته الفرادة في التعدّد والحتميّة في الاحتمال، يلتذّ فيها بقدر ما تكشف أسرارها وينتشى بها بقدر ما تشرع من هاجع وكامن لدى والجيها.

قد تكون قراءة كهذه متطرّفة إلاّ إني أعتقد أنّ شعر ستيتية لا يضيق بها بل إن رحابته لتستدعي مثيلاتها حتى ليصحّ القول: من هذا الذي يقرأ لا يعرف الكثير / تلعثم متسربل بأصداء المتاهات النائيات في سراديب أمواه أبكار تقطر بلا خفر - بلا ظفر في بهاء مراودات باذخة لمحرمات فاتنات ولا جسد - غاويات ولا مناص / طلاسم أو تعاويذ أو صلوات في حواسيب. أم أنها هذيانات الهلوسات في أحضان أمهات ولا حسد - ما لا يقال على أنه مكتوب يُقرأ ولا يُنقل يُحسّ ولا يُمسّ / من هذا الذي يقرأ لا يسفر يقين: الكلام احتمال يرجّحه اختيار نور من يرى نوراً، على أن للكلام الماء إيحاءات أخرى ربما أكثر حميمية.

مروان فارس

صنو الثلج...

انه
«جرح يكاد الثلج أن يحييه
وردة حمراء في الماء البارد
تستريح».
صلاح ستيتيّة
هكذا يقول.
نقتفي آثاره. لا نجده
.... «هنا
حيث قليلاً تلتمع استراحة الشحرور».

فلا وصف له إلا بلغته ولا بكاء بعده إلاّ للطفل الذي يموت في «غابة الماوراء».

هناك رحاله تحط مع «السَهَرة النائمين» فتطلع الغزالة برية في «بلاد من حجر» و«هواء عار» كالرجفة في الماء البارد.

الوقت هو الأشياء وهي جمال وفساد. وهي تضاد في بحيرة النعناع.

إنه سوف يبقى أكثر من أمثولة تختفي في ثنيات الشعاع، واحداً من تلك الألوان التي تضفي بها الشمس نعمة على النّاس، يأكلون من زاده فلا يشبعون ويشربون من الساقية التي لا تصبح نهراً. تتعدّد فلا تجتمع، تتكاثر فلا تزيد. قالت: «عارية أنا فلتلبسني النجوم».

عنده، أن عناصر الكون مزدانة بفتاة وجسد وليل وشجرة. كلّها، وأن تمضي من الأرض، قاطنة في السماء. والسماء ما وراء. يحضر الاحتفال الأزلي حيث النفي والعراء والفناء.

الفكرة سيدة في شعره تهطل كما المطر على الأشياء. تنبعث منا وتنام.

إن الفكرة لا تنام وإن كان رداؤه الذي من ليل لا ينام هو أيضاً.

لأن كل دفاتر الطفولة تحترق لا يبقى إلاّ الفراغ يحيط به الفراغ الذي لا يملأه إلاّ الشعر. إنه حالة من التلوين الذي يعبّر عن الامتلاء الذي هو انبهار بالحياة وإن كان الموت شديد الحضور في النصّ الذي يقدّمه صلاح ستيتية. ذلك لأنّ كلّ شيء يتحلّل ومن ثمّ يستعاد. في هذه الحركة الطالعة من اندثار المكوّنات تحمل الأحصنة حمولتها باتجاه المجرّات. هناك تأخذ النجوم وظيفتها الحقيقية، تطفئ اللّيل، تصنع أثواباً لتلبس بها الفتاة.

كلّ ذلك ما كان ليكون لولا الحبّ. والحبّ عراء ونفي وجسد يزيّن امرأة من لا امرأة هي في الوقت نفسه جمال وفساد.

إن هذه الغرابة هي صنو للّيل المبهم الذي تغطّيه سماء مملوءة بالثلج. عند صلاح ستيتيّة الذي نحبّه، كلّ ليل هو «صنو الثلج».